١

مجالات الحفظ في سورة الحجر

دراسة موضوعية

Fields of memorization in Surat Al-Hijr
objective study

أ.م.د عبدالله إبراهيم رحيم الشمري

Assistant. Professor Dr. Abdullah Ibrahim Rahim AlShamri

جامعة الانبار / كلية التربية للبنات

University of Anbar / College of Education for Girls

isl.abdullah@uoanbar.edu.iq

٠٧٨٠٨٥٨١٨١٨

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

من السور التي أظهرت ذلك كله واتفقت مع باقي سور القرآن الكريم في النية والمغزى سورة الحجر، والتي تتميز بفضل عام وخاص، أما فضلها العام هو فضل القرآن الكريم الذي فيه الخير والبركة، وأما فضلها الخاص هو أنها قدمت قيماً عظيمة للمؤمنين، لأنها تحدثت عن خلق الإنسان وعن الميزات التي شرفه الله بها دون غيره من المخلوقات، كما أن ذكرها لقصة إبراهيم ولوط «عليهما الصلاة السلام» وأصحاب الحجر وأصحاب الأيكة الكثير من العبر والمواعظ، خصوصاً أن الله تعالى أهلكهم بكفرهم، وفي هذا تحذير وإنذار للناس من خطر المعصية، وفيها دعوة لاتباع أوامر الله تعالى، كما أن فيها آيات تحدثت عن مجالات حفظ الله سبحانه وتعالى والذي هو موضوع بحثنا والذي كان بعنوان (مجالات الحفظ في سورة الحجر_ دراسة موضوعية)، والتي كانت عبر سبعة مجالات ابتداءاً من حفظ الله تعالى لكتابه الكريم مروراً بحفظه لعباده المؤمنين في الدنيا من وساوس الشيطان وفي الآخرة من النار وحفظه تبارك وتعالى للأرض والسماء ولأرزاق العباد وانتهاءاً بحفظ الله تعالى لرسوله «صلى الله عليه وسلم»، واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، أما التمهيد فذكرت فيه نبذة مختصرة عن سورة الحجر متطرقا لسبب تسميتها وعدد آياتها ومكان نزولها وسياقها وما ورد فيها من أحاديث عن النبي «صلى الله عليه وسلم»..

Abstract

One of the surahs that showed all that and agreed with the rest of the surahs of the Noble Qur'an in its intention and meaning is Surat Al-Hijr, which is distinguished by a general and specific virtue. As for its general merit, it is the virtue of the Noble Qur'an, which contains goodness and blessing. As for its special merit, it provided great values to the believers, because it spoke of creating The human being and the features that God has honored him with without other creatures, as well as mentioning the story of Abraham and Lot "peace be upon them" and the companions of the stone and the owners of the yoke a lot of lessons and exhortations, especially that God Almighty destroyed them with their unbelief, and this is a warning and a warning to people from the danger of disobedience, and there is a call To follow the commands of God Almighty, and in it there are verses that talked about the fields of God's protection, the Almighty, which is the subject of our research, which was entitled (The fields of memorization in Surat Al-Hijr - an objective study), which was across seven areas, starting with God's preservation of His Noble Book passing through His preservation of His faithful servants in The world is from Satan's whispers and his protection of the earth and the sky and the livelihood of the servants, and ending with God Almighty's protection of His Messenger (may God bless him and grant him peace). The reasons for choosing the topic and its importance, and the research plan. As for the preface, it mentioned a brief summary of Surat Al-Hijr, touching on the reason for its name, the number of its verses, the place of its revelation, its context, and the hadiths contained in it from the Prophet (peace and blessings of God be upon hi..).

المقدمة

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب؛ فأعيت بلاغته البلغاء، وأبكمت الفصحاء، وأذهلت روعته الخطباء، فهو الحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنعمة الباقية، والعصمة الواقية، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل فيما أحكم وتشابه من الأمور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، وصفي الله وخليله، وبعد..

القرآن الكريم هو كتاب الله تبارك وتعالى، والذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم)، فيه تعاليم دين الله تعالى وهو الإسلام، لكي يوحده الناس ويقيمون العبودية له، ويعملون بأحكامه التي توصلهم لسعادة الدنيا والآخرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، محاجة المعاندين وإقناعهم بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وجميع ما موجود في القرآن الكريم من آيات سواء أكانت في القصص، أو الأحكام، أو الأخلاق، أو في أصول الدين وفروعه، كلها تصب في أصل واحد ولغاية واحدة وهدف واحد ليصل الإنسان لتوحيد الله وطاعته وعبوديته، ومن السور التي أظهرت ذلك كله واتفقت مع باقي سور القرآن الكريم في النية والمغزى سورة الحجر، والتي تتميز بفضل عام وخاص، أما فضلها العام هو فضل القرآن الكريم الذي فيه الخير والبركة، وأما فضلها الخاص هو أنها قدمت قيماً عظيمة للمؤمنين، لأنها تحدثت عن خلق الإنسان وعن الميزات التي شرفه الله بها دون غيره من المخلوقات، كما أن ذكرها لقصة إبراهيم ولوط «عليهما الصلاة السلام» وأصحاب الحجر وأصحاب الأيكة الكثير من العبر والمواعظ، خصوصاً أن الله تعالى أهلكهم بكفرهم، وفي هذا تحذير وإنذار للناس من خطر المعصية، وفيها دعوة لاتباع أوامر الله تعالى، كما أن فيها آيات تحدثت عن مجالات حفظ الله سبحانه وتعالى والذي هو موضوع بحثنا والذي كان بعنوان «مجالات الحفظ في سورة الحجر– دراسة موضوعية»، ومن خلال البحث والتقصي وبعد سؤال أهل الاختصاص لم أجد أحدا من الباحثين قد تناول هذا الموضوع وكتب فيه من الناحية الموضوعية.

واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، أما التمهيد فذكرت فيه نبذة مختصرة عن سورة الحجر متطرقا لسبب تسميتها وعدد آياتها ومكان نزولها وسياقها وما ورد فيها من أحاديث عن النبي «صلى الله عليه وسلم»..

أما تقسيم المباحث فكان على النحو الآتي..

المبحث الأول: حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التحريف والتبديل.

المبحث الثاني: حفظ السماوات من كل شيطان رجيم وجعلها متعة للناظرين.

المبحث الثالث: حفظ الله تعالى للأرض بالجبال الثوابت.

المبحث الرابع: حفظ الله تعالى للأرزاق.

المبحث الخامس: حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين من الشيطان الرجيم.

المبحث السادس: حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة.

المبحث السابع: حفظ الله تعالى لرسوله «صلى الله عليه وسلم» من استهزاء الكافرين.

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا وفي نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها والحمد لله أولا وأخيرا وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا..

التمهيد

سبب تسميتها وعدد آياتها ومكان نزولها وترتيبها في المصحف الشريف وسياقها وفوائدها والأحاديث الواردة فيها

أولا: سبب تسميتها:

سميت السورة المباركة باسم الحجر، وقد دل على سبب تسميتها الآية الثّمانين فيها، والذي يقول فيها الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، فالمقصود بالحجر هي مدائن ثمود، وهم قوم نبي الله صالح (عليه السلام)، ومساكنهم ما زالت آثارها باقية، وتعرف الآن بمدائن صالح، وهي في طريق القادم من المدينة المنورة إلى بلاد الشام أو العكس، وتقع ما بين خيبر وتبوك، وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على ديارهم وهو ذاهب إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، ويجوز أن يكون لفظ الحجر، مأخوذ من الحجارة، لأن قوم صالح(عليه الصلاة السلام) كانوا ينحتون بيوتهم من أحجار الجبال وصخورها، ويبنون بناء محكما جميلا[2].

والمتأمل في آيات الذكر الحكيم لن يجد أي ذكر إلى أصحاب الحجر غير هذه السورة، وقد تحدث الله عن هؤلاء القوم في خمس آيات من آيات السورة، ووصفت كيف فعل الله بهم، فكانوا أصحاب بنية قوية، وقد وهبهم الله القوة التي من خلالها يستطيعون أن يتخذوا من الجبال بيوتاً، فقد كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً، ويتخذونها مساكن لهم، ويبنون بناء محكما جميلا، قال تعالى حكاية عما قاله نبيهم صالح لهم ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[3]، فلما عتو عن أمر الله تعالى، أخذتهم الصيحة، أي: العقوبة الهائلة، أو صيحة ملك بالحق فجعلناهم غثاء أي: كغثاء السيل هلاكا لهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ

(١) سورة الحجر: آية/ ٨٠.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ٨/ ٦.

(٣) سورة الشعراء: آية/ ١٤٩.

غِثاءٍ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1][2].

ثانياً: عدد آياتها ومكان نزولها:

سورة الحِجْرْ سورة مكية ماعدا الآية ٨٧ فمدنية، وهي من المئين وقيل من مثاني، آياتها ٩٩ آية، ويأتي ترتيبها في المصحف ١٥، في الجزء الرابع عشر، نزلت بعد سورة يوسف.[3]

وابتدأت سورة الحجر كغيرها من بعض السور بالحروف المقطعة حيث قال الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[4]، (بقصد التنبيه وتحدي العرب أهل البلاغة والفصاحة بأن يأتوا بمثل القرآن أو بعضه، علما بأنه مكون من هذه الحروف الهجائية التي تتركّب منها لغتهم، لذا اقترنت هذه الحروف غالبا بالكلام عن القرآن: لتلازم الأمرين معا، فأخبر سبحانه أن آيات القرآن الكريم في هذه السورة وغيرها، هي آيات الكتاب الكامل في كل شيء، وآيات البيان الفصيح المعجز، مما يدلّ على أن القرآن المبين هو الكتاب الجامع للكمال، والغرابة في البيان).[5]

ثالثا: سياقها:

يمكن تقسيم سياق السورة هنا إلى خمس جولات، أو خمسة مقاطع، يتضمن كل منها موضوعاً أو مجالاً وهي كالآتي:

الجولة الأولى:

بيان سنة الله التي لا تتخلف في الرسالة والإيمان بها والتكذيب. مبدوءة بذلك الإنذار الضمني الملفع بالتهويل ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[6]، ومنتهية بأن المكذبين أنما يكذبون عن عناد لا عن نقص في دلائل الايمان ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[7]، وأنهم جميعاً من طراز واحد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[8].

(١) سورة المؤمنون: آية/ ٤١.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١، – ١٤١٨هـ، ٧/ ٢٩٠.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي _بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١١٦/١٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١ ١٤١٥هـ، ٧/ ٢٤٩.

(٤) سورة الحجر: آية/ ١

(٥) التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر _دمشق، ط١ _١٤٢٢هـ، ٢/ ١٢١١.

(٦) سورة الحجر: آية/ ٢

(٧) سورة الحجر: الآيتان/ ١٤_١٥.

(٨) سورة الحجر: الآيات/ ١٠_١١_١٢_١٣.

الجولة الثانية:

بعض آيات الله في الكون: في السماء وفي الأرض وما بينهما. وقد قدرت بحكمة وأنزلت بقدر: ﴿لِقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ۞ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ۞ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ۞ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ۞ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ۞ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[1]، وإلى الله مرجع كل شيء وكل أحد في الوقت القدر المعلوم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ۞ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[2][3].

الجولة الثالثة:

فتعرض قصة البشرية وأصل الهدي والغواية في تركيبها وأسبابها الأصلية، ومصير الغاوين في النهاية والمهتدين. وذلك في خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون والنفخ من روح الله في هذا الطين. ثم في غرو إبليس واستكباره وتوليه الغاوين دون المخلصين، فقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ۞ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ۞ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ۞ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[4]، ثم جاء وصف حال أهل الشقاوة والنار، وأهل السعادة والتقوى والجنة، مقرراً أَن جهنم موعد العصاة أَجمعين، وأَن المتقين في جنات وعيون إخواناً على سرر متقابلين فقال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ۞ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[5][6].

الجولة الرابعة:

في مصارع الغابرين من قوم لوط وشعيب وصالح، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۞ وَأَنَّ

(١) سورة الحجر: الآيات/ ١٦_١٧_١٨_١٩_٢٠_٢١_٢٢.
(٢) سورة الحجر: الآيات/ ٢٣_٢٤_٢٥.
(٣) ينظر: ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥ هـ)، دار الشروق، بيروت_ القاهرة، ط١٧ – ١٤١٢هـ، ٤/ ٢١٢٣.
(٤) سورة الحجر: الآيات/ ٢٩_٣٠_٣١_٣٢_٣٣_٣٤_٣٥.
(٥) سورة الحجر: الآيات/ ٤٠_٤١_٤٢_٤٣_٤٤_٤٥_٤٦.
(٦) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر _ دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ، ٦/١٤

عِذابِي هُوَ الْعذابُ الْأَلِيمُ﴾[1]، ثم يتتابع القصص، لتظهر رحمة الله تعالى مع انبيائه إبراهيم ولوط ومن اتبعهم، وعذابه لأقوام لوط وشعيب وصالح، ملحوظاً في هذا القصص أنه يعرض على قريش مصارع أقوام يمرون على أرضهم في طريقهم إلى الشام ويرون آثارهم.

الجولة الخامسة: كشفت عن الحق الكامن في خلق السماوات والأرض المتلبس بالساعة وما بعدها من ثواب للمؤمن وعقاب للكافر، المتصل بدعوة الرسول «صلى الله عليه وسلم»، فهو الحق الأكبر الشامل للكون كله، وللبدء والمصير: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۞ وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[2][3].

رابعاً: فوائدها والعبر المستنبطة منها..

لسورة الحجر عدد من الفوائد والعبر يمكن للمسلم تطبيقها على حياته، ومنها:

١- الإدراك بأن وجود العصاة والمعاندين والمكذبين أمر محتوم منذ قديم الزمن، فلا يَيْأَس الداعية مما يلاقيه من صعوبات في طريق دعوته، فصفوة الخلق تعرضوا لأشد من ذلك، وواجهوا أشد العصاة.

٢- العلم بأن ما حول الإنسان من آيات خلق الله تعالى ما هي إلا حجج دامغة على عظمة الخالق وقدرته على كل شيء، فلا يجعل المسلم أُلفته لما يراه من آيات الله تعالى باباً لانعدام استشعاره نعمه وعظمته، لما في ذلك من أثر في تقوية الإيمان في نفس المسلم.

٣- اليقين بأن الابتلاء قد يكون بضلال أحد أفراد الأسرة، فلذلك على الوالدين ألا يرهقا نفسيهما حزناً إن هما ابتليا بهذا البلاء، ولكن أيضاً يجب عليهم عدم إغفال دورهما في تربية الأبناء تربية إيمانية؛ فإن الهداية من الله تعالى، وهو يتوب على من يشاء سبحانه.

٤- العلم بأنه مهما علا الأنسان في أسباب القوة وتمكن، فلن يعجز الله تعالى شيء إن لم يؤد حق الله تعالى في أسباب القوة والغنى، فيحرص المسلم على أن يؤدي حق الله تعالى في أدق النعم وأجلها؛ وذلك لئلا يحرم من فضل الله تعالى عليه، وتقلب النعم إلى نقم.

٥- الإدراك بأن حتمية يوم القيامة والعدل وإنصاف الحقوق فيه هو سبب لطمأنينة المسلم لما يتعرض له في الدنيا، فيصفح عن المسيء، فإن عظمت الأذية فعليه أن يطمئن إلى أنه محصل حقه في آخر الأمر، وإن الحق يعلو ولا يعلى عليه[4].

خامساً: الأحاديث الواردة في سورة الحجر:

لم يرد حديث ثابت عن فضل سورة الحجر على

(١) سورة الحجر: الآيات/ ٤٩_٥٠.

(٢) سورة الحجر: الآيات/ ٨٥_٨٦_٨٧.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، ٤/ ٢١٢٤، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٤/ ٧.

(٤) ينظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية_ بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ ٤/ ٢٦٥ وما بعدها.

وجه الخصوص، ولكن جاءت إشارات إلى بعض آياتها في الأحاديث الصحيحة والآثار ومنها:

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (مَا يَزَالُ اللَّهُ يَشْفَعُ، وَيُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَيَرْحَمُ وَيُشَفِّعُ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)[١][٢].

٢- عَن أَنَس بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (سَيَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ، قَالُوا: إِذَا أُخْرِجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الجَنَّةَ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)[٣].

٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (كَانَتْ امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْنَاءَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَكَانَ بَعْضُ القَوْمِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ لِئَلَّا يَرَاهَا، وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ، فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْهِ)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[٤][٥].

المبحث الأول
حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التحريف والتبديل

أنزل القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى، على سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» عن طريق الوحي جبريل، وأنزله الله تعالى على نبيه بالتدريج وليس دفعة واحدة حتى يتم استيعابه وحفظه بطريقة أسهل وأبسط، وتمكين الناس من حفظه عن ظهر قلب وعدم نسيانه، والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية وخاتم الرسالات النبوية، فكل رسول له معجزة أيده الله تعالى بها، والقرآن الكريم هو معجزة سيدنا محمد

(١) سورة الحجر: آية/ 2.

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية _بيروت، ط١، ١٤١١ _ ١٩٩٠، تفسير سورة الحجر، ٢/ ٣٨٤، رقم الحديث(٣٣٤٥)، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي _ مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م، بَابُ: مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ٥/ ٢٣، رقم الحديث(٢٦٣٨)، حسنه الألباني.

(٤) سورة الحجر: آية/ ٢٤.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة_ بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ لُزُومِ الرِّيَاضَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَعْمَالِ السِّرِّ، ٢/ ١٢٦، رقم الحديث(٤٠١)، إسناده حسن.

صلّى الله عليه وسلّم التي أيده بها وقد تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه من التبديل والتحريف فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنا نَحْنُ نـزلنا الذِكرَ وَإِنا لَهُ لَحافِظونِ﴾[1].

يقول القرطبي عن معنى هذه الآية: (إِنا نَحْنُ نَزَّلنا الذِكرَ يعني القرآن، وَإِنا لَهُ لَحافِظونِ من أن يزاد فيه أو ينقص منه، قال قتادة وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا، فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا، وقال في غيره: ﴿بِما اسْتُحْفِظوا﴾[2]. فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا)[3].

وقد وردت هذه الآية بصيغة الجمع وهو من كلام الملوك كما ذكر الإمام الرازي في تفسيره فقال: (فهذه الصيغة وإن كانت للجمع إلا أن هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم فإن الواحد منهم إذا فعل فعلاً أو قال قولاً قال: إنا فعلنا كذا وقلنا كذا فكذا ههنا).[4]

وقد تعهد الله بحفظه فلم يجز التبديل على أهل القرآن.

وفي هذا إغاظة للمشركين بأن أمر هذا الدين سيتم وينتشر القرآن ويبقى على مر الأزمان، وهذا من التحدي ليكون هذا الكلام كالدليل على أن القرآن منزل من عند الله آية على صدق الرسول «صلى الله عليه وسلم»، لأنه لو كان من قول البشر أو لم يكن آية لتطرقت إليه الزيادة والنقصان ولاشتمل على الاختلاف قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[5][6].

وقد اختلف اهل العلم في كيفية حفظ الله تعالى لكتابه الكريم على النحو الآتي:

أولا: قال بعضهم: حفظه بأن جعله معجزاً مبايناً لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزاً كإحاطة السور بالمدينة لأنه يحصنها ويحفظها.

ثانياً: إنه تعالى صانه وحفظه من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته.

ثالثاً: أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده بأن قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف.

رابعاً: المراد بالحفظ هو أن أحداً لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب وتغيير

(١) سورة الحجر: آية/ ٩.

(٢) سورة المائدة: آية/ ٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٣م، ١٠/ ٥.

(٤) التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٢٣.

(٥) سورة النساء: آية/ ٨٢

(٦) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر _ تونس، ١٩٨٤هـ، ١٤/ ٢٢.

لكلام الله تعالى حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان: أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا[1].

وقد تميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية بميزة الحفظ الدائم فلم يدخله تحريف ولا تبديل ولا تغيير بخلاف باقي الكتب التي أنزلها الله تعالى على انبيائه (عليهم الصلاة والسلام) على الرغم من محاولات البعض المتكررة في هذا المجال.

(واعلم أنه لم يتفق لشيءٍ من الكتب مثل هذه الحفظ؛ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف، والتحريف، والتغيير، إما في الكثير منه، أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف، مع أن دواعي الملاحدة، واليهود، والنصارى، متوفرة على أبطاله وإفساده، فذلك من أعظم المعجزات، وأيضا أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف، وانقضى الآن قريبا من ستمائة سنة فكان هذا إخبارا عن الغيب، فكان ذلك أيضا معجزا قاهرا)[2].

فإن قيل: لم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف، وقد وعد الله عز وجل بحفظه وما حفظ الله عز وجل فلا خوف عليه؟.

فالجواب: (أن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله إياه، فإنه تعالى لما أراد حفظه، فيَّضهم لذلك، وفي الآية دلالةٌ قويةٌ على كون البسملةِ آية من كل سورة؛ لأن الله تبارك وتعالى قد وعد بحفظ القرآن، والحفظُ لا معنى له إلاَّ أن يبقى مصُوناً عن التغيير وعن الزيادة، وعن النقصان فلو لو تكن التسمية آية من القرآن، لما كان مصوناً من التغيير والزيادة، ولو جاز أن يظن بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم أنهم زادوا، لجاز أيضاً أن يظنَّ بهم النقصان؛ وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة، وهذا لا دليل فيه؛ لأن أسماء السور أيضاً مكتوبةٌ معهم في المصحف، وليست من القرآن بالأجماع)[3].

وفي الآية دلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل مالا يخفى وفي إيراد الثانيةِ بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقبل الضمير المجرور للرسول «صلى الله عليه وسلم» كقوله تعالى: ﴿والله يَعْصِمُكِ مِنَ الناس﴾[4]، وتأخير هذا الكلام وإن كان جواباً عن أول كلامهم الباطل رداً له لما ذكر آنفاً ولارتباطه بما يعقُبه من قوله تعالى: ﴿وَلَقِدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾[5].

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٢٣.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٢٣_١٢٤.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ١١/ ٤٣٣.

(٤) سورة المائدة: آية/ ٦٧.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ٥/ ٦٩.

وحينما ننظر في هذه الآية الكريمة، من وراء القرون الطويلة منذ نزولها فنرى أن الله تعالى قد حقق وعده في حفظ كتابه، ومن مظاهر ذلك:

١ – أن ما أصاب المسلمين من ضعف ومن فتن، ومن هزائم، وعجزوا معها عن حفظ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم. هذا الذي أصابهم في مختلف الأزمنة والأمكنة، لم يكن له أي أثر على قداسة القرآن الكريم، وعلى صيانته من أي تحريف.

ومن أسباب هذه الصيانة أن الله تعالى قيض له في كل زمان ومكان، من أبناء هذه الأمة، من حفظه عن ظهر قلب، فاستقر بين الأمة بمسمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وصار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر وفي كل عصر..

٢ – أن أعداء هذا الدين سواء أكانوا من الفرق الضالة المنتسبة للإسلام أم من غيرهم امتدت أيديهم الأثيمة إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلوا فيها ما ليس منها..

وبذل العلماء العدول الضابطون ما بذلوا من جهود لتنقية السنة النبوية مما فعله هؤلاء الأعداء.

ولكن هؤلاء الأعداء، لم يقدروا على شيء واحد، وهو إحداث شيء في هذا القرآن، مع أنهم وأشباههم في الضلال، قد أحدثوا ما أحدثوا في الكتب السماوية السابقة[١].

ولقد أورث الله قلب كل مؤمن غيرة عليه، فلا نرى أحداً منهم يتسامح في اللحن فيه، ولو كان شيخا عظيما، بل يسارع بيان الصواب له، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولم يتعهد الله بحفظ كتاب سواه، أَما كتبه السابقة فقد استحفظها الربانيين والأحبار، على سبيل الامتحان والاختبار، فأساءوا الحفظ والرعاية والعمل بها، وغيروا فيها وبدلوا وحرفوا، وما لم يبدلوه منها أساءوا تأويله، وتعمدوا تحويله، وقد زال أصل التوراة ولم يعد له وجود، وضاع أصل الإنجيل وانتهى أَمره، ولهذا لا تجد نسخ التوراة أو الإنجيل متماثلة، فترى بعضها أطول من بعض، مع الاختلاف في العبارات والمعاني.

أما القرآن الكريم فإنه نسخة واحدة في جميع الأمصار والأعصار، في عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، وحين جمعه أبو بكر في نسخة واحدة، ثم نسخه عثمان في أربع نسخ وزعها على الأمصار، لم يتغير فيه حرف ولا كلمة، لأنه تعالى تولى حفظه بنفسه منذ أنزله على رسوله (عليه الصلاة والسلام)، ولم يستحفظ عليه أحداً سواه، فطبع كل مسلم على الغيرة عليه والمبالغة في صيانته بدافع وجداني، تنفيذاً لوعد الله الكريم، ليظل دستور للأمة دائماً إلى ما شاء الله تعالى[٢].

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام أن الله

(١) ينظر: تفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٨/ ٢٠.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط ١، ١٤١٤ هـ _١٩٩٣م، ٥/ ٥٢٤.

سبحانه وتعالى حفظ القرآن الكريم في جميع الأحوال والأوضاع والتنزلات في مراحله الخمس وكما ورد في آياته المباركة:

المرحلة الأولى:

حفظ الله القرآن في اللوح المحفوظ قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾(١).

المرحلة الثانية:

حفظ الله تعالى هذا القرآن في طريق نزوله على سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم»، قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾(٢).

المرحلة الثالثة:

حفظ الله تعالى القرآن في قَلب سيدنا النبي «صلى الله عليه وسلم» وجمعه في صدره الشريف، قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(٣).

المرحلة الرابعة:

حفظ الله تعالى القرآن في حال تبلغيه «صلى الله عليه وسلم» وتلاوته على العباد سالماً من مداخلة فيه، أو مشاغبة عليه، قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(٤).

المرحلة الخامسة:

حفظ الله هذا القرآن بعد تبليغ سيدنا النبي «صلى الله عليه وسلم» إياه، وإبقاؤه مصوناً محفوظاً إلى يوم الدين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٥).

وبعد كل ذلك فقد هيأ الله تعالى من اصطفاه من عباده لحفظ كتابه من الصحابة رضي الله عنه، ثم من التابعين، وهكذا... في كل عصر، وفي كل قطر، ألا فليهنأْ حملة القرآن الكريم بهذه الخاصية التي أكرمهم الله بها، وعليهم أن يعلموا عظم هذه الأمانة التي حملوها، وأن يكونوا على مستوى المسؤولية.

وبالمحصلة النهائية فإن سلامة النص القرآن من أي تحريف رغم حرص الأعداء على تحريفه ورغم ما أصاب المسلمين من أحداث جسام، ورغم تطاول القرون والدهور دليل ساطع على أن هناك قوة خارقة خارجة عن قوة البشر قد تولت حفظ هذا القرآن، وهذه القوة هي قوة الله (عز وجل) ولا ينكر في ذلك إلا الجاحد الجهول..

(١) سورة البروج: الآيتان/ ٢١_ ٢٢.
(٢) سورة الجن: الآيتان/ ٢٦_ ٢٧.
(٣) سورة القيامة: الآيات/ ١٦_ ١٧_ ١٨_ ١٩.
(٤) سورة البقرة: آية/ ١٥١.
(٥) سورة فصلت: آية/ ٤٢.

المبحث الثاني
حفظ السماوات من كل شيطان رجيم وجعلها متعة للناظرين

إن من أبرز الدلائل الكونية على عظيم خلق الله وقدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ومع تلك السرعة في خلق السماوات والأرض إلا أن خلقها كان بأعلى درجة من الإبداع والإتقان، فرفع السموات بلا أعمدة وهو ما لا يمكن تصوره من ناحية المنظور البشري، وقد أُشير في كتاب الله إلى أن ذلك كان من إعجاز الله في كونه، وأن الله يتصرف في رفع السماوات بأمره فهو يمسكها إمساكاً يليق بجلاله، وبيده حفظها من أن تزول، ولإن زالت لزال معها الوجود كاملاً، وحفظها من كل شيطان رجيم، وجعلها رائعة الجمال تسر الناظرين فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[1].

افتتح الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بلام القسم وقد، تنزيلا للمخاطبين الذاهلين عن الالتفات إلى مظاهر قدرة الله تعالى منزلة المنكرين، فأكد لهم الكلام بمؤكدين لينتبهوا ويعتبروا.

وبذلك يتكرر التذكير ببعض مظاهر قدرة الله تعالى ووجوده في آيات القرآن الكريم، لا سيما في حال وصف عناد الكفرة والمشركين وتهديدهم بالعذاب، وإنذارهم بالعقاب، فإن الله قادر على كل شيء، وهذا يدعو العقلاء إلى التزام جادة الاستقامة، والزحزحة عن مواقف الكفر وتكذيب الرسل، ففي الكون أرضه وسمائه عبر منصوبة تدعو للإيمان بالله عز وجل، وكفر الكافرين وإعراضهم عنها، أي: عن العبر والآيات إصرار منهم وعتو[2].

يقول الإمام الرازي في هذا المجال: (ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار، هو أن طبائع هذه البروج مختلفة على ما هو متفق عليه بين أرباب الأحكام، وإذا كان الأمر كذلك فالفلك مركب من هذه الأجزاء المختلفة في الماهية والأبعاض المختلفة في الحقيقة، وكل مركب فلا بد له من مركب يركب تلك الأجزاء والأبعاض بحسب الاختيار والحكمة، فثبت أن كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار)[3].

وفي قوله تعالى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنها قصور في السماء فيها الحرس.

الثاني: أنها منازل الشمس والقمر.

الثالث: أنها الكواكب العظام، يعني السبعة السيارة.

الرابع: أنها النجوم.

الخامس: أنها البروج الاثنا عشر. وأصل البروج الظهور ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت نفسها[4].

(١) سورة الحجر: الآيتان/ ١٦ _ ١٧.

(٢) ينظر: تفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ٢/ ١٢١٥.

(٣) التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٢٩.

(٤) ينظر: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لعباده هذه السماء وتلك البروج سبباً لمعاشهم وأقواتهم وأثمارهم.

يقول صاحب كتاب الفواتح الإلهية: (امتنانا لعباده بتهيئة أسباب معاشهم جعل لهم في السماء بروجاً تدور وتبدل فيها الشمس في كل سنة شتاء وصيفاً ربيعاً وخريفاً والقمر في كل شهر تتميما لأسباب معاشكم وتنضيجاً لأقواتكم واثماركم)[1].

وقد أوضحت لنا الآية الكريمة أن الضمير في (وَزَيَّنَّاها) عائد على البروج لأنها المحدث عنها والأقرب في اللفظ.

وقيل: على السماء وهو قول الجمهور وخص بالناظرين لأنها من المحسوس الذي لا يدرك إلا بنظر العين، ويجوز أن يكون نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية وهو ما فيها من حسن الحكم وبدائع الصنع وغرائب القدرة، ولتكون جميلة في عيون الناظرين إليها، وهذه الجملة الكريمة، تلفت الأنظار إلى أن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، كما تشعر المؤمنين بأن من الواجب عليهم أن يجعلوا حياتهم مبنية على الجمال في الظاهر وفي الباطن، تأسيا بسنة الله تعالى في خلق هذا الكون[2].

وقيل: وفي المراد بالناظرين قولان:

أحدهما: أنهم المبصرون. والثاني: المعتبرون[3].

(وفي هذه الآية لفتة إلى جمال الكون، وبخاصة تلك السماء، تشي بأن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، فليست الضخامة وحدها، وليست الدقة وحدها، إنما هو الجمال الذي ينتظم المظاهر جميعاً، وينشأ من تناسقها جميعاً، وإن نظرة مبصرة إلى السماء في الليلة الحالكة، وقد انتثرت فيها الكواكب والنجوم، توصوص بنورها ثم يبدو كأنما تخبو، ريثما تنتقل العين لتلبي دعوة من نجم بعيد، ونظرة مثلها في الليلة القمرية والبدر حالم، والكون من حوله مهوم، كأنما يمسك أنفاسه لا يوقظ الحالم السعيد)[4].

ثم وضح سبحانه وتعالى بأن هذا التزيين للسماء، مقرون بالحفظ والصيانة والطهارة من كل رجس فقال تبارك وتعالى: (وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ).

والضمير في (وَحَفِظْناها)، عائد على السماء حتى لا تختلف الضمائر وحفظ السماء وهو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح[5].

بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية _ بيروت لبنان، ٣/ ١٥٢.

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر _الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١/ ٤١٢.

(٢) تفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٨/ ٢٨.

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١_١٤٢٢هـ ٢/ ٥٢٦.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢١٣٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)،

فإن قيل: ما الغاية من حفظها من الشياطين، والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فأي حاجة إلى حفظ السماء منه؟؟

يقول الإمام الرازي: (لما منعه من القرب منها، فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فحفظ الله السماء منهم كما قد يحفظ منازلنا عن متجسس يخشى منه الفساد)[1].

والسؤال المتبادر إلى الأذهان كيف يجوز أن يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان أو أكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون، ثم إنهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم؟

والجواب كما يقول الإمام النيسابوري: (إذا جاء القضاء عمي البصر، فإذا قيض الله لطائفة منهم الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار)[2].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، ربما استدرج الله تعالى الشياطين وأولياءهم، فلم يمنع الشياطين من استراق شيء قليل يلقونه إلى الكهان فلما أراد سبحانه عصمة الوحى منعهم من ذلك بتاتا[3].

وبنظرة متأنية نلاحظ جمال هذا الكون وما فيه من مكامن الروعة والصفاء والنقاء لا يدنسه رجس شيطان رجيم.

يقول سيد قطب: (إن نظرة واحدة لكفيلة بإدراك حقيقة الجمال الكوني، وعمق هذا الجمال في تكوينه ولإدراك معنى هذه اللفتة العجيبة: (وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ)، ومع الزينة الحفظ والطهارة: (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)، لا ينالها ولا يدنسها ولا ينفث فيها من شره ورجسه وغوايته، فالشيطان موكل بهذه الأرض وحدها، وبالغاوين من أبناء آدم فيها. أما السماء وهي رمز للسمو والارتفاع فهو مطرود عنها مطارد لا ينالها ولا يدنسها، إلا محاولة منه ترد كلما حاولها: (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ)، ولا ننسى جمال الحركة في المشهد في رسم البرج الثابت، والشيطان الصاعد، والشهاب المنقض، فهي من بدائع التصوير في هذا الكتاب الجميل)[4].

المبحث الثالث
حفظ الله تعالى للأرض بالجبال الثوابت

إن من آيات الله العظيمة، وبراهينه القويمة الدالة على كمال الرب جل وعلا هذه الأرض التي

تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر_ بيروت، ١٤٢٠هـ، ٦/ ٤٧١.

(١) التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٢٩.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٤٢١٥.

(٣) ينظر: تفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٨/ ٢٩.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢١٣٢_ ٢١٣٣.

نمشي عليها، ونسير في فجاجها، كم فيها من البراهين الدالة على كمال الخالق وعظمة الموجد سبحانه وتعالى، يقول الله جل وعلا: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[1].

لما شرح الله سبحانه تعالى الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الأرضية، في قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) قال ابن عباس: بسطناها على وجه الماء،

ومن الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى: (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) وهي الجبال الثوابت الراسيات وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[2].

وفي تفسيره وجهان:

الوجه الأول: قال ابن عباس: لما بسط اللّه تعالى الأرض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرساها اللّه تعالى بالجبال الثقال لكيلا تميل بأهلها.

الوجه الثاني: يجوز أن يكون المراد أنه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الأرض ونواحيها لأنها كالأعلام فلا تميل بالناس عن الجادة المستقيمة التي تنير لهم الطريق ولا يقعون في الضَلال والهَلاك وهذا الوجه ظاهر الاحتمال[3].

ومن العلماء من انتهج منهجاً آخر في تفسير هذه الآية الكريمة فجعل من نفوس العباد والزهاد والأولياء والصالحين طريقاً لبيان معناها..

يقول القشيري في لطائفه وإشاراته: (النفوس أرض عبادة العابدين، وقلوب العارفين أرض المعرفة وأرواح المشتاقين أرض المحبة، والخوف والرجاء لها رواس، وكذلك الرغبة والرهبة، ويقال: من الرواسي التي أثبتها في الأرض الأولياء فبهم يثبت الناس إذا وقع بهم الفزع، ومن الرواسي العلماء الذين بهم قوام الشريعة وبهم نظام الشرع)[4].

وفي تفسير قوله تعالى: (مِوْزُونٍ) ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الموزون: المعلوم، مروي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك. وقال مجاهد، وعكرمة: الموزون: المقدور، فعلى هذا يكون المعنى: معلومَ القدر كأنه قد (وُزِن)، لأن أهل الدنيا لما كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه، أخبر الله تعالى عن هذا أنه معلوم القدر عنده بأنه موزون. وقال الزجاج: المعنى: أنه جرى على (وَزْنٍ) من قدر الله تعالى، لا يجاوز ما قدره الله تعالى عليه، ولا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصاناً.

الوجه الثاني: أنه عنى به الشيء الذي يُوزن كالذهب، والفضة، والرصاص، والحديد، والكحل،

(١) سورة الحجر: الآيتان/ ١٩_ ٢٠.
(٢) سورة النحل: آية/ ١٥.
(٣) التفسير الكبير، الرازي، ١٩/ ١٣١.
(٤) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر، ط٣، ٢/ ٢٦٦.

ونحو ذلك، وهذا المعنى مروي عن الحسن، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب[1].

الوجه الثالث: موزون الحركات، فأهل العرف يقولون: يقولون: فلان موزون الحركات أي: حركات متناسبة حسنة مطابقة للحكمة، وهذا الكلام كلام موزون إذا كان متناسبا حسنا بعيدا عن اللغو والسخف فكان المراد منه أنه موزون بميزان الحكمة والعقل، وبالجملة فقد جعلوا لفظ الموزون كناية عن الحسن والتناسب، أي: محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة ومطابقة المصلحة[2].

وفي الآية استدلال أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقةً وشكلاً وطبيعةً، مع جواز أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه[3]، كما أن في الآية استدلال آخر ألا وهو أن الأرض كروية الشكل.

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره: (وحين نسمع كلمة الأرض فنحن نتعرف على المقصود منها، ذلك أنه ليس مع العين أَين، والمد هو الامتداد الطبيعي لِمَا نسير عليه من أي مكان في الأرض، وهذه هي اللفتة التي يلفتنا لها الحق سبحانه، فلو كانت الأرض مربعة، أو مستطيلة، أو مثلثة، لوجدنا لها نهاية وحافة، لكنا حين نسير في الأرض نجدها ممتدة، ولذلك فهي لابد وأن تكون مدورة، وهم يستدلون في العلم التجريبي على أن الأرض كروية بأن الإنسان إذا ما سار في خط مستقيم، فلسوف يعود إلى النقطة التي بدأ منها، ذلك أن منحنى الأرض مصنوع بدقة شديدة قد لا تدرك العين مقدار الانحناء فيه ويبدو مستقيماً)[4].

ثم بين الله سبحانه وتعالى قدرة المخلوق الضعيفة، ووزن حاجته له عز وجل فقال تعالت كلماته: (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ). أي: مكنكم من أن تتخذوا معايش لكم من طعام موفور، وثياب سابغة، ومأوى تأوون إليه، مكنكم سبحانه وتعالى، لكم ولأولادكم، وكل من يكونون في عيالكم، والضعفاء الذين تعاونونهم، مكنكم من هذه المعايش ومكن حيواناتكم الأليفة من الرزق[5].

وقوله تعالى: (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)، يحتمل أن تكون (مَنْ) في موضع نصب وذلك على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون عطفا على (مَعَايِشَ)،

(١) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٥٢٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٣٢.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٣/ ٢٠٩.

(٤) تفسير الشعراوي _ الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ١٢/ ٧٦٦٩.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠/ ١٣.، و زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ٨/ ٤٠٧٩.

كأن الله تعالى عدد النعم في المعايش، وهي ما يؤكل ويلبس، ثم بعد ذلك عدد النعم (الحيوان والعبيد والصناع) وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم.

الوجه الثاني: أن تكون (مِنْ)، معطوفة على موضع الضمير في (لِكُمْ)، وذلك أن التقدير: وأنعشناكم وأنعشنا أمما غيركم من الحيوان، فكأن الآية على هذا فيها اعتبار وعرض آية.

الوجه الثالث: أن تكون (مِنْ) منصوبة بفعل مضمر يقتضيه الظاهر، تقديره: وأنعشنا من لستم له برازقين.

ويحتمل أن تكون (مِنْ) في موضع خفض عطفا على الضمير في (لِكُمْ) وهذا قلق في النحو لأن العطف على الضمير المجرور، وفيه قبح، فكأنه قال: (وَمِنْ لِسْتُمْ لِهِ بِرَازِقِينِ)، وأنتم تنتفعون به[1].

والآية الكونية هنا تتجاوز الآفاق إلى الأنفس، فهذه الأرض الممدودة للنظر والخطو وهذه الرواسي الملقاة على الأرض، تصاحبها الإشارة إلى النبت الموزون ومنه إلى المعايش التي جعلها الله للناس في هذه الأرض، وهي الأرزاق المؤهلة للعيش والحياة فيها، وهي كثيرة شتى، يجملها السياق هنا ويبهمها لتلقي ظل الضخامة كما أسلفنا. جعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم كذلك (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)، فهم يعيشون على أرزاق الله التي جعلها لهم في الأرض، وما أنتم إلا أمة من هذه الأمم التي لا تحصى، أمة لا ترزق سواها إنما الله يرزقها ويرزق سواها، ثم يتفضل عليها فيجعل لمنفعتها ومتاعها وخدمتها أمماً أخرى تعيش من رزق الله، ولا تكلفها شيئاً[2].

وهنا لابد من الإشارة إلى المقصود من الآيات أنه تعالى يمتن على الناس بما يسر لهم في الأرض من أسباب المكاسب والمعيشة، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها، والأنعام التي يأكلونها، والخدم الذين يستخدمونهم، وقد تكفل الله الخالق برزقهم، فرزقهم على خالقهم، لا عليهم، فلهم المنفعة، وعلى الله التسخير والرزق.

المبحث الرابع
حفظ اللّه تعالى للأرزاق

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وتكفل بأرزاقهم ومعايشهم وأقواتهم وقد جعل الله عز وجل للرزق مجموعة قوانين يعرفها الناس من تدبر آيات الله واستشعارها في حياتهم، ومن هذه القوانين والسنن أن الرزق يحتاج إلى السعي والطلب، فمن أراد الرزق فعليه أن يسعى لطلب رزقه وتحصيله، فإن رزق العبد

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٣/ ٣٥٥.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢١٣٤.

لن يأتيه ما دام متكاسلاً قاعداً إلا أن يكون قد قدر الله له ذلك، ومن قوانين الرزق أيضاً أنه من الله وحده، فيجب التوكل عليه في طلب الرزق، ولطلب الرزق آداب يجب مراعاتها منها أن يعلم المسلم العلم اليقيني بأن الرزق بيد الله وحده ينزله بحكمة ويرفعه بحكمة وأن يعلم العلم اليقيني بأن رزقه له، فلا يستبطئه ولا يطلبه بالحرام، وأن ما يصيب الإنسان من فقر بعد بذله للأسباب إنما هو كفارة لذنوبه أو رفع لدرجاته، وقد تعهد الله تعالى لعباده بالرزق فقال جل جلاله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[1].

أي: وإن من شيء من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عندنا خزائنه، يعني المطر المنزل من السماء لأن به نبات كل شيء. قال الحسن: المطر خزائن كل شيء، وقيل: الخزائن المفاتيح، أي: في السماء مفاتيح الأرزاق، قاله الكلبي. والمعنى واحد[2].

فلما تم ما أراد من آيتي السماء والأرض، وختمه بشمول قدرته لكل شيء، أتبعه ما ينشأ عنهما مما هو بينهما مودعاً في خزائن قدرته فقال الله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ).

وفيه وجهان من التفسير:

الوجه الأول: لواقح السحاب حتى يمطر، قاله الحسن وقتادة، وكل الرياح لواقح.

الوجه الثاني: لواقح للشجر حتى يثمر، قاله ابن عباس[3].

وعلى الوجهين وصف الله سبحانه وتعالى الرياح بكونها لواقح، لأنها حوامل تحمل ما يكون سببا فيما يعود على الناس بالنفع والخير والبركة.

يقول سيد طنطاوي: (ومن بلاغة الآية الكريمة، إيراد هذا الوصف لواقح لإفادة كلا العملين اللذين تعملهما الرياح، وهما الحمل للسحاب والمطر وغيرهما، أو التلقيح لغيرها)[4].

كما أن هناك وظيفة أخرى للرياح بأن جعلها الله سبحانه وتعالى سبباً لإزالة الغبار عن الأشجار، لينفذ الغذاء إلى مسامها[5].

ثم قال تعالى (فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)، يعني بماء المطر فأرويناكم به وحبستم الماء في الغدران والحياض لتسقوا الضياع والمواشي (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) أي: بمالكين وحافظين ويقال ليس مفاتيحه بأيديكم[6].

(١) سورة الحجر: الآيتان/ ٢١ _ ٢٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠/ ١٤.

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي، ٣/ ١٥٥.

(٤) تفسير الوسيط سيد طنطاوي، ٨/ ٣٣.

(٥) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٤/ ٢٥.

(٦) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر_ بيروت، ٢/ ٢٥٤.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام أمران:

الأول: (الفاء) في قوله تعالى: (فَأَنزَلْنَا)، لبيان أن ما بعدها سببا لما قبلها، أي: أنه بسبب هذه الإثارة التي أثارتها الرياح أنزل سبحانه وتعالى الماء من السماء، ليسقي الزرع والغراس، والأعشاب التي يكون منها طعام الإنسان والحيوان، وكل ما يدب على ظهر الأرض، وأن سبحانه وتعالى جعل الخطاب بالسقي للناس مع أنه لسقي الزرع والعشب والأشجار والإنسان، لأن سقي الإنسان أعظم وأقوى؛ ولأن سقي ما عدا الإنسان هو للإنسان في غايته ونهايته، فكان الإسقاء للإنسان في الابتداء والانتهاء.

الثاني: (الباء) في قوله تعالى: (بِخَازِنِينَ) لاستغراق النفي، أي أنتم ليس لكم أي عمل في خزن هذا الماء في السحاب، وكأنه شبه السحاب بمخزن للماء خزن فيها؛ إذ يخرج من الأرض بخارا ثم يتكاثف فيها ثم يوزعه سبحانه وتعالى في الأرض بتصريف الرياح، أي ليس أحد منكم معشر الناس بخازن هذا الماء ومصرف الرياح به وموزعه في كل بلد حسب حاجته، وحسب عطاء اللَّه تعالى له، سبحانه إنه هو الخلاق العليم[1].

وقد بينت الآية القرآنية عدداً من الأمور نجملها بما يلي:

أولا: أنه لا ينزل شيء إلا بمشيئة الله تعالى وحده وحاجة الخلق إليه، وأن كل شيء خاضع لإرادته وقدرته، وتصرفه.

ثانياً: ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور[2].

ثالثاً: ما ينزل الله عز وجل إلا بقدر معلوم يتفق مع الحكمة في نوعه وزمنه وقدره وأَهله استحقاقًا أَو ابتلاءً أَو إِملاءً، وعبر عنه بالتنزيل لأَنه ناشئ عن أَسباب سماوية، فكأَنه منزل من أَعلى إِلى أَدنى[3].

المبحث الخامس
حفظ اللّه تعالى لعباده المؤمنين من الشيطان الرجيم

المؤمن في هذه الحياة الدنيا هو أسعد الناس وأكثرهم توفيقاً، ذلك أنه أطاع ربه وآمن به واستقام على ما أرداه منه، فحفظه الله بحفظه، وسلمه من المخاطر، وكفاه أذى المؤذين، ورد عنه كيد الكائدين، وجعل لذلك أسباباً، منها المحافظة على أذكار الصباح والمساء، والمحافظة على الأدعية والأذكار عموماً، ففي ذلك الحصن الحصين، والوقاية والسلامة من أذى

(١) ينظر: زهرة التفاسير، ٨/ ٤٠٨١.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب_ بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٢/ ١٨٧.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، ٥/ ٥٣٣.

الشياطين والسحرة، ومن شر عيون الحساد وتربص المبغضين، فمن حفظ الله فإن الله يحفظه.

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

في هذه الآية أصدر الحق سبحانه حكمه بألاَّ يكون لإبليس سلطان على من أخلص العبادة لله تعالى وأمر إبليس ألاَّ يتعرض لهم، فسبحانه وتعالى هو الذي يصونهم ويحفظهم منه، إلا من زاغ وضل عن طريق الهدى الذي أراده الله سبحانه وتعالى لعباده، وهم من يستطيع إبليس غوايتهم[2].

وقد وضع الله سبحانه وتعالى سنة في النفوس أن إبليس لا يتسلط على أحد إلا من كان قلبه راغبا في ذلك: (أن الله وضع سنة في نفوس البشر أن الشيطان لا يتسلط إلا على من كان غاويا، أي: مائلا للغواية مكتسبا لها)[3]

فإن قيل إن آدم وحواء (عليهما السلام)، من عباد الله المخلصين ومع ذلك فقد ورد بخصوصهما قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[4]، وإن بعض أصحاب النبي «صلى الله عليه وسلم»، كانوا معنيين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5]، وبذلك يكون له سلطان حتى على المخلصين.

والجواب على ذلك: أن المقصود والله تعالى أعلم أنه ليس له سلطان على إيمانهم وقلوبهم بحيث يلقيهم في ذنب يمنعهم عفو الله ويضيقه عليهم، فإيمانهم متين قوي وقلوبهم طاهرة نقية، فإن هم أذنبوا تابوا والتوبة تمحو الحربة[6].

وقد دلت الآية الكريمة على مجموعة من الأمور نجملها بما يلي:

أولاً: دلت على بطلان قول من زعم أن الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وإزالة عقولهم كما يقوله العامة، وربما نسبوا ذلك إلى السحرة وذلك خلاف ما نص اللّه تعالى عليه[7].

ثانياً: استثناء (إلا من اتبعك مِنَ الغاوين)، دليل على جواز استثناء القليل من الكثير، والكثير من القليل، مثل: علي عشرة إلا درهما، أو عشرة إلا تسعة. وقال ابن حنبل: لا يجوز أن يستثني إلا قدر النصف فما دونه، وأما استثناء الأكثر من الجملة فلا يصح[8].

ثالثاً: من نعم الله علينا أن أخبرنا الحق سبحانه

(١) سورة الحجر: آية/ ٤٢.
(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٢/ ٧٧٠٦.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ٥٢.
(٤) سورة البقرة: آية/ ٣٦.
(٥) سورة آل عمران: آية/ ١٥٥.
(٦) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، ٥/ ٥٤٨.
(٧) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٤٦
(٨) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٤/ ٣٦.

بكل ذلك في الحياة الدنيا، ولسوف يقر الشيطان بهذا كله في اليوم الآخر[١].

رابعاً: إن الشيطان لا يتلقف إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع، فأما من يخلصون أنفسهم لله، فالله لا يتركهم للضياع، ورحمة الله أوسع ولو تخلفوا فإنهم يثوبون من قريب، فأما العاقبة، عاقبة الغاوين، فهي معلنة في الساحة منذ البدء[٢].

المبحث السادس
حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة

إن الله تعالى وعد عباده المؤمنين الأبرار بدار في الآخرة، ينعمون بجمالها ويبتهجون بحسنها ويقيمون في ظلها وينالون فيها كل ما تشتهيه أنفسهم وتقر به أعينهم، ثواباً من الله تعالى بسبب ما قاموا به من أعمال حسنة طيبة ومراعاتهم لمسؤولياتهم، وأدائهم لأمور عبادتهم، فحفظهم من النار ومن الخروج من جنة الأبرار، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٣].

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)، أي: أخرجنا ما في قلوبهم من الشحناء والبغضاء والعداوة والحقد والحسد، (إِخْوَانًا)، على سرر جمع سرير (مُتَقَابِلِينَ)، يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه.

وقيل في بعض الأخبار: إن المؤمن في الجنة إذا ود أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان[٤].

وقيل: (معنى الآية طهر الله تعالى قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع سبحانه منها كل غل وألقى فيها التواد والتحاب، والآية ظاهرة في وجود الغل في صدورهم قبل النزع)[٥].

ويدخل الله تعالى عباده المؤمنين جنات الخلد بعد عملية التنقية والتهذيب حتى لا يبقى في قلوب بعضهم على البعض الآخر غلاً ولا حقداً ولا كراهيةً ولا بغضاً ولا حسداً كما كانوا في الدينا.

عن أبي سعيد الخدري(رضي الله عنه وأرضاه) أنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: (يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا)[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٢/ ٧٧٠٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢١٤٢.

(٣) سورة الحجر: الآيتان/ ٤٧_ ٤٨.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ط، ١ ١٤٢٠هـ، ٣/ ٦٠.

(٥) روح المعاني الألوسي، ٧/ ٣٠٢.

(٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن

وكل هذا يدل على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم وخلقهم وجميل تعامل بعضهم مع البعض الآخر مقابلا الواحد منهم للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر(١).

والآية الكريمة تشعر أيضاً بأنهم في الجنة ينشئهم الله تعالى نشأة أخرى جديدة ويصلون بسبب هذه النشأة الجديدة إلى منتهى الرقى البشري(٢).

ثم ختم سبحانه وتعالى بيان جزائهم مدللاً على حفظهم بجناة الخلد مقرراً عدم خروجهم منها فقال تبارك وتعالى: (لا يَمَسُّهُمْ فِيها نِصَبٌ وَما هُمْ مِنها بِمُخْرَجِينَ)، وفي هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة، والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء، وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان (٣).

وقد دلت الآيتان الكريمتان على عدد من الأمور نوجزها بما يلي:

أولاً: لا يتعرض أهل الجنة لشيء من الأضرار والمؤذيات، فهم في خلوص من شوائبها الروحانية كالحقد وغيره، والجسمانية كالتعب والمرض، وهم في نعمة وكرامة لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، تواصلا وتحاباً.

ثانياً: إن نعيم الجنة دائم لا يزول، وإن أهلها باقون: وما هم منها بمخرجين أكلها دائم وظلها يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مِثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾(٥)(٦).

المبحث السابع
حفظ الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من استهزاء الكافرين

من فضائل الله تعالى على البشرية جمعاء حفظه لرسوله «صلى الله عليه وسلم»، فقد نجاه الله تعالى من مكر أعدائه لما اجتمعوا على قتله، وحفظه عليه الصلاة والسلام حتى وصل إلى دار الهجرة، فأقام فيها دولةَ الإسلام التي غاظت قُوى الكفر إلى يومنا هذا، وحفظه من الشيطان ومكره، وحفظه من استهزاء الكفرة والمشركين فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ

إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب: الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، ٨/ ١١١، رقم الحديث(٦٥٣٥).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ٤٣١.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٨/ ٥٠.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٣/ ٨٥.

(٤) سورة الرعد: آية/ ٣٥.

(٥) سورة ص: الآيتان/ ٥٣_ ٥٤.

(٦) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٤/ ٤١.

الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

عن ابن عباس أنه قال في تفسيره لهذه الآية: (رفعنا عنك مؤنة المستهزئين)[2]، وقيل: بقمعهم وتدميرهم وهلاكهم وقطع دابرهم[3]، وقيل: حفظناك من شرهم، فلا ينالون منك ولا من دعوتك، وما يكون منهم من أذى بالقول، أو الفعل أو الغمز أو اللمز، أو نحو ذلك من أساليب الاستهزاء والسخرية ولن ينالوا من شخصك، ولا من أتباعك إلا بمقدار ما ينال المؤمن صاحب الحق من عبث العابثين، وإن يسخروا منك، فسوف يكون اليوم الذي يسخر الحق منهم[4].

وقد اختلف العلماء في عدد هؤلاء المستهزئين وفي أسمائهم وفي كيفية طريق استهزائهم، وهذا ليس مهما فالمهم أنهم كانوا طبقة لهم قوة وشوكة ورئاسة لأن أمثالهم هم الذين يقدرون على إظهار مثل هذه السفاهة مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في علو قدره وعظم منصبه ومكانته عند الله عز وجل، ودل القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة على أن الله تعالى أفناهم وأبادهم وقتلهم وأهلكهم وأزال كيدهم، والله تعالى أعلم.

فمن العلماء من روى أنهم كانوا خمسة نفر من المشركين:

الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث فأومأ جبريل (عليه السلام)، إلى عقب الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات.

وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات، وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي، وأشار إلى أنف عدي بن قيس، فامتخط قيحا فمات وأشار إلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات[5].

وقيل: (أنهم ماتوا جميعاً في يوم إلا أبا زمعة، فإنه عمي يومئذ، ثم خرج إلى الصحراء ذات يوم ومعه غلام فأتاه جبريل (عليه السلام) وهو قاعد في أصل شجرة، فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه فقال غلامه: ما أرى أحد يصنع بك شيئاً غير نفسك، حتى مات وهو يقول: قتلني رب محمد)[6].

(١) سورة الحجر: الآيتان/ ٩٥_٩٦.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية_لبنان، ٢٢٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود، ٥/ ٩٢.

(٤) ينظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٨/ ٤١١٦.

(٥) ينظر: التفسير الكبير الرازي، ١٩/ ١٦٥.

(٦) درج الدرر في تفسير الآيِ والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد

ومنهم من حدد غيرهم وذكر أسمائهم اعتماداً على ما جاء في صحيح البخاري: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَنَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَنُحِرَتْ جَزُورٌ بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ، فَأَرْسَلُوا فَجَاءُوا مِنْ سَلاَهَا وَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ، فَأَلْقَتْهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» لِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ قَتْلَى، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ وَنَسِيتُ السَّابِعَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَقَالَ شُعْبَةُ: أُمَيَّةُ أَوْ أُبَيٌّ «وَالصَّحِيحُ أُمَيَّةُ»)[1].

وجملة (إِنَا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)، تعليل للأمر بالإعلان بما أمر به، فإن اختفاء النبي «صلى الله عليه وسلم» بدار الأرقم كان بأمر من الله تعالى لحكمة علمها الله أهمها تعدد الداخلين في الإسلام في تلك المدة بحيث يغتاظ المشركون من وفرة الداخلين في الدين مع أن دعوته مخفية، ثم إن الله أمر رسوله (عليه الصلاة والسلام) بإعلان دعوته لحكمة أعلى تهيأ اعتبارها في علمه تعالى، والتعبير عنهم بوصف المستهزئين إيماء إلى أنه كفاه استهزاءهم وهو أقل أنواع الأذى، فكفايته ما هو أشد من الاستهزاء من الأذى مفهوم بطريق الأحرى[2].

ولقد بين سبحانه صفة المستهزئين وباعثهم على الاستهزاء، وعاقبته فقال تبارك وتعالى: (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

وفيه وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه «صلى الله عليه وسلم»، أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره: إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك، الجاعلين مع الله شريكا في عبادته، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة، وما يحل بهم من البلاء[3].

وقد بينت نهاية الآية الكريمة في قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)، استيعاب لكل الأزمنة، أي: سيعلمون الآن ومن بعد الآن، فكلمة «سوف» تتسع لكل المراحل والأزمنة، فالحق سبحانه وتعالى لم يأخذهم جميعاً في مرحلة واحدة، بل أخذهم على فترات، كما جاء في بعض الروايات

فقد يرتدع المؤذي، ويتراجع عن موقفه وعداوته

بن أحمد بن صَالح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء)، إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ٣/ ١٠٦٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ: باب: الدُّعَاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ، ٤/ ٤٤، رقم الحديث(٢٩٣٤).

(٢) ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ٨٩.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، ١٧/ ١٥٩.

لنبي الإسلام «صلى الله عليه وسلم»، ويتحول بعضهم إلى الإيمان.

وها هو المثل واضح في عكرمة بن أبي جهل، يصاب في موقعة اليرموك؛ فيضع رأسه على فخذ خالد بن الوليد ويسأله: يا خالد، أهذه ميتة ترضِي عني رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ؟ فيرد خالد: «نعم»، فيُسلِم الروح مطمئناً[1].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه غلى يوم الدين وبعد..

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها ألخصها بما يأتي:

١- إن طبيعة هذا الكتاب الذي يكذب به المشركون والجاحدون أنه كتاب مبين، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فمن أخذ بما فيه فاز ونجا، ومن أعرض عنه فقد ضل وغوى، كما أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، ونصوصه باقية كما أنزلها الله؛ وهي حجة على كل محرف وكل مؤول؛ وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الكتاب المحفوظ.

٢- إن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، وهو الذي ينتظم مظاهر الكون جميعاً، وينشأ من تناسقها جميعاً. وأن هذا الجمال الباهر فيها محفوظ، لا يناله دنس ولا رجس، ولا يعبث فيه شيطان، إلا طورد وحيل بينه وبين ما يريد.

٣- ضرورة أن نعلم أن أرزاق العباد -ككل شيء- مقدرة في علم الله، تابعة لأمره ومشيئته، يصرفها حيث يشاء وكما يريد، في الوقت الذي يريد، حسب سنته التي ارتضاها، وأجراها في الناس والأرزاق.

٤- إن الذين يدينون لله وحده، ويخلصون له في عبادتهم، ليس للشيطان عليهم من سبيل؛ لأنهم يعلقون أبصارهم بالله، ويدركون ناموسه بفطرتهم الواصلة إلى الله. وإنما سبيل الشيطان على الغاوين والضالين عن منهج الله وطريقه القويم.

٥- جاء وصف المتقين في سورة الحجر بأنهم الذين يراقبون الله في جميع تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم، ويقون أنفسهم وأهليهم عذابه وأسبابه، وهؤلاء في جنات النعيم، لا يمسهم فيها نصب، ولا يمسهم فيها لغوب، ولا يخافون منها خروجاً؛ جزاء ما خافوا في الأرض واتقوا، فاستحقوا المقام المطمئن الآمن في جوار الله الكريم.

٦- في الآيات الكريمات وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل سبحانه تعالى فإنه ما تظاهَر أحد بالاستهزاء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبما جاء به، إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

وختاما نسأل الله جل في علاه أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين،

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٣/ ٧٧٨٣.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا..

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة_ بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي _ بيروت.

٤- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر_ بيروت.

٥- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر_ بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر _ تونس، ١٩٨٤م.

٧- تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر _ دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ.

٩- التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر _دمشق، ط١ _١٤٢٢هـ.

١٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٤١٤هـ _١٩٩٣م.

١٢- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى (ت٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية _ لبنان.

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)،

تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ_ ٢٠٠٣م.

١٧- درج الدرر في تفسير الآيِ والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بن أحمد بن صَالح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء)، إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية_ بيروت، ط١ ١٤١٥هـ.

١٩- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ _١٤٢٢هـ.

٢٠- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي _ مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٣- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر _ الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت _ القاهرة، ط١٧ – ١٤١٢هـ.

٢٥- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)،

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر، ط٣.

٢٦- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٧- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١ – ١٤١٨هـ.

٢٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب_ بيروت، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية _بيروت، ط١، ١٤١١هـ _ ١٩٩٠م.

٣١- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٢- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٣- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية_ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٤- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية _ بيروت لبنان.